

ماذا لو؟ ... وجهة نظر خبير إسرائيلي



نواء د. سمير فرج



٢ نوفمبر ٢٠١٨

خمسة وأربعون عاماً، ونحن نحتفل بأعظم انتصارات الجيش المصري، في العصر الحديث، وهو نصر أكتوبر ... وفي كل عام نروي قصص البطولات التي سطرها أفراد القوات المسلحة المصرية، وأفراد الشعب، في إطار تذكرة الشعب المصري، وخاصة الأجيال الجديدة، التي لم تشهد هذه الحرب.

في ذكرى اليوبيل الفضي، مرور ٢٥ عاماً على حرب أكتوبر، كنت مسئولاً حينها عن جميع التحضيرات والتجهيزات لإقامة هذه الاحتفالات، بصفتي مديراً للشئون المعنوية، بالقوات المسلحة المصرية، وحصلت على الموافقة القوات المسلحة المصرية، لأن تشمل الاحتفالات، في ذلك العام، عقد ندوة استراتيجية عن الحرب، على مدار ثلاثة أيام، يتم خلالها تناول المحاور العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، لهذه الحرب العظيمة، بمشاركة العديد من القادة العسكريين لحرب أكتوبر، والخبراء الاقتصاديين، والاجتماعيين، وأبرز الشخصيات السياسية، للحديث عن فترة حرب أكتوبر ٧٢، من مختلف الجوانب. وتم بالفعل إقامة تلك الندوة الاستراتيجية، وتم عرضها على مختلف وسائل الإعلام، فالتف حولها عموم الشعب المصري، وحققت نتائج إيجابية، بالفعل، خاصة أن المتحدثين بها كانوا من أبطال هذه الحرب المجيدة، أو ممن عاصروها.

لكن حدثتني نفسي، هذه المرة، سائلة، ماذا يحدث في إسرائيل في هذه الذكرى كل عام ... ذكرى هزيمتها في حرب يوم كيبور أو عيد الغفران، كما يطلقون عليها؟ كيف تحييها وسائل الإعلام الإسرائيلية؟

لقد تصفحت بعضاً من مواقع الصحف الإسرائيلية، على شبكة الإنترنت، فوجدتها تتحدث في هذه الذكرى، من كل عام، عن الصدمة، أو الزلزال، الذي هز إسرائيل، ورج أركانها، في هذا التوقيت. ووجدت، تلك الصحف، تحذر من مغبة وقوع إسرائيل، مرة أخرى، في نفس الخطأ الكارثي، كما

تتطرق، عادة، إلى معاهدة السلام، التي ترى أن إسرائيل خسرت فيها الكثير؛ فلقد أعادت الأرض للمصريين، دون مقابل ... فلم تحصل مقابلها على تطبيع أو على علاقات حقيقية، إنما علاقات سورية، تتمثل في سفارة لكل منهما لدى كل دولة، تمثل علاقات دبلوماسية فاترة.

من هذا المنطلق بدأت أفكر، ماذا لو كنت محلاً عسكرياً في إسرائيل، وأكتب، الآن، عن ذكرى حرب يوم كيبور، أكتوبر ٧٣؟ كيف سأحلل أحداث هذه الحرب، من وجهة النظر الإسرائيلية، بعد ٤٥ عاماً على مرورها.

أتصور نفسي بادئاً تحليلي بالقول، أننا، في إسرائيل، لم نكتشف نية المصريين للهجوم، وبالتالي لم نكتشف توقيت الهجوم، في هذا اليوم، الموافق لمناسبة دينية يهودية، تحييها إسرائيل وتحتفل بها، وهي يوم كيبور، أو عيد الغفران. فكان أكبر النتائج، المباشرة، لهذا التقصير، في الكشف عن خطة المصريين، هو عدم قدرة مجلس الوزراء الإسرائيلي، ورئاسة الأركان على تعبئة قوات الاحتياط؛ التي تمثل الوزن الأثقل للقوة التي يركز عليها الجيش الإسرائيلي، مما يعني أن إسرائيل خاضت ثلاثة أيام من حرب أكتوبر ٧٣، بثلاثي قواتها العسكرية.

ولو كنت محلل، غير مماتل، لكنت لأقر بأن هذا الخطأ، أو التقصير، هو الناتج الطبيعي لغرور قواتنا الإسرائيلية، وتصورها على اعتياد النصر، بعدما حققته من مكاسب في حرب الأيام الستة عام ٦٧، بفضل قواتها الجوية، التي تُعرفها باسم الذراع الطولى لإسرائيل. أما الخطأ الثاني، الذي وقعت فيه رئاسة الأركان الإسرائيلية، أنها لم تتصد للمصريين في بنائهم لحائط الصواريخ المصري غرب القناة، أثناء حرب الاستنزاف، ذلك الحائط الذي حرم الطيران الإسرائيلي، وشل قدراته، من التدخل ضد القوات المصرية، أثناء عبورها لقناة السويس، واقتحامها وتدميرها لخط بارليف، خلال حرب أكتوبر ٧٣.

ولن أعف رئاسة الأركان الإسرائيلية، من فشلها في تحديد تنامي القوة العسكرية المصرية، وتمسكها بمعتقد تفوق الجيش الإسرائيلي على نظيره المصري، مستشهداً على ذلك بموقف معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن، International Institute of Strategic Studies The، الذي أصدر تقريره السنوي، في يناير ١٩٧٣، قبيل شهر من الهجوم المصري، مقراً بالتفوق النوعي، والعديدي للجيش الإسرائيلي، مؤكداً أن ذلك من شأنه منع المصريين من مجرد

التفكير في خوض أي حرب ضد إسرائيل، لتحرير سيناء. وفي يناير ١٩٧٤، صدر التقرير السنوي، معتزلاً عن سوء تقديره، ومقراً بأنه أخطأ في حساب قوة الجيش المصري، إذ لم يضع في حساباته الروح القتالية للجيش المصري، والمقارنة النوعية للمقاتل المصري، وهو ما تم إدراجه بعد حرب أكتوبر ٧٣، كأحد أهم عوامل المقارنة بين الجيوش.

وكان ذلك هو نفس الخطأ الذي وقع فيه الجيش الإسرائيلي، بإغفاله قرار الجيش المصري بتجنيد ذوي المؤهلات العليا بين صفوفه، مما أدى لارتفاع مستوى الأداء القتالي للجيش المصري. ولقد ظهر هذا جلياً في ارتفاع قدرات الجنود المصريين، في سلاح الدفاع الجوي، ودقتهم في إصابة أهدافهم من الطائرات الإسرائيلية، وهو ما كان أحد أكبر أخطاء المخابرات الإسرائيلية (الموساد) في هذه الحرب.

ولو كنت خبيراً ومحللاً عسكرياً إسرائيلياً، لطالبت، اليوم، بنشر تقرير "لجنة أبحاث" بالكامل، دون حذف أو حجب، تلك اللجنة التي بدأت عملها، في نوفمبر ١٩٧٣، فور انتهاء العمليات، للوقوف على أسباب هزيمة الجيش الإسرائيلي، ولم أكن لأكتفي بقرار اللجنة بعزل رئيس أركان الجيش الإسرائيلي، فقط، ولم أكن لأكتفي باستقالة حكومة جولدا مائير، بل كنت سأصر على المطالبة بحق الشعب في معرفة الحقيقة كاملة، ومعرفة المقصرين وأسباب سوء تقدير إمكانات القوات المسلحة المصرية، ونجاح خطتهم في الخداع الاستراتيجي للقوات الإسرائيلية.

لو كنت خبيراً إسرائيلياً مهتماً بشأن بلاده، لاعترفت بمليء فمي أن إسرائيل لن تتحمل ضربة أخرى من الجيش المصري، خاصة الآن، وهناك رئيس مصري اسمه عبد الفتاح السيسي، يطور تسليح الجيش المصري، وينوع مصادره، فيكفي النظر إلى الصفقات الجديدة هناك لنعرف إلى أين نحن ذاهبون. وحتى الصفقة الإسرائيلية لأحدث الطائرات الشبح (F35)، فإن المصانع الأمريكية سحبتها مؤخراً، لوجود عيوب فنية ظهرت بها. إن إسرائيل يجب أن تعيد تقييم قواتها المسلحة، خاصة بعدما أصبح الجيش المصري في الترتيب العاشر بين جيوش العالم، وفقاً لأحدث إحصاءات عام ٢٠١٨.

كانت تلك بعض الأفكار، الممكن أن يطرحها مفكر إسرائيلي، حول حرب أكتوبر ٧٣، التي عرفت فيها إسرائيل، لأول مرة، معنى الهزيمة.

Email: sfarag.media@outlook.com